الأخلاق القرآنية

أخلاقية التعامل مع الله سبحانه

التقوى والورع

الحلقة الأولى

الدكتور زهير الأعرجي / أميركا

نظرة عامة

لا تُنال رحمةُ الله عزّوجلّ إلاّ بالتقوى: «**... ورحمتي وسعتْ كلّ شيء فسأكتبها للذين يتّقون ويؤتون الزكاة والذين هُمْ بآياتنا يُؤمنون**» (الأعراف: ١٥٦) «**... للذينَ اتّقوْا عند ربهم جناتٌ تجري من تحتها الأنهار...**» (آل‌عمران: ١٥). والتقوى هي وقاية النفس مما يغضب الله سبحانه وتعالى، وهي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالأخلاق.. حيث يقول تعالى: «**... فأتموا إليهمْ عهدهم الى مُدَّتهم إنَّ اللهَ يُحبُّ المُتقين**» (التوبة: ٤)، فالوفاء بالعهد من تقوى الله، والوفاء بالعهد ركن من أركان الأخلاق الإسلامية. وكذلك العدل والعفو والإستقامة مع الأعداء هي من التقوى، قال تعالى: «**... إعدلوا هو أقرب للتقوى...**» (المائدة: ٨). «**... وأنْ تعفوا أقربُ للتقوى...**»(البقرة: ٢٣٧)«**... فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إنَّ اللهَ يُحبُّ المُتقين**» (التوبة: ٧).

وقد أكد القرآن الكريم بمفاهيمه الأخلاقية الرائعة ان الشيطان لايستطيع أن ينفذ الى قلوب الذين يمتلكون تقوى الله حيث النفوس البصيرة والقلوب الواعية: «**إنّ الذين اتقوا إذا مسّهم طائفٌ من الشيطان تذكّروا فإذاهم مُبصرون**» (الأعراف: ٢٠١) فالتقوى هنا هي التي ترجع الإنسان الى موقعه الطبيعي إذا فاجأته عاصفة هوجاء في مسيرة الحياة فيتذكر الله و يتذكر نفسه، فإذا هو إنسان يرى ما لا يراه الآخرون...

و يتصاعد السلّم القرآني في فهم التقوى، فيلقي القرآن ضوءاً آخر على هذه الميزة الإيمانية الفريدة، فيقول: «**إنَّ اللهَ مع الذين اتقوْا والذينَ هم مُحسنون**» (النحل: ١٢٨)، وفي الآية لطف رباني، حيث يذكر الله سبحانه وتعالى، انه سبحانه بعظمته وجلاله مع هؤلاء المتقين، و هذه زيادة و رفعة لا توصف في تكريم هذه المجموعة الطيبة من البشر.. إنَّ الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون..

وقد تناول القرآن الكريم وصف المتقين وميزاتهم فأجملها بالإيمان بالله سبحانه وتعالى، و برسله، والإنفاق في سبيل الله بما يحبون، وإقامة الصلاة بمعنى إقامة الدين، وعدم تجاوز الحدود الشرعية، وإيتاء الزكاة، والإيفاء بالعهد، والصبر على مكاره الحياة، فقال تعالى: «**ليس**

البرَّ أن تولّوا وجوهكم قِبلَ المشرق والمغرب، ولكنَّ البرَّ من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب[1] والنبيين، وآتى المال على حبّه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرّقاب[2] وأقامَ الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء[3] والضراء[4] وحين البأس[5]، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المُتّقون» (البقرة: ١٧٧)، فالصبر على المرض، والصبر على الفقر والفاقة هو باب من أبواب التقوى.

وقد أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بالتقوى ومخافة الله، فقال تعالى: «**يا أيُّها الذين آمنوا اتّقوا الله حقَّ تُقاته...**» (آل عمران: ١٠٢)، «**... وتزوّدوا فإنَّ خيرَ الزاد التقوى...**» (البقرة: ١٩٧)، «**يا أيُّها الذينَ آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**» (التوبة: ١١٩)، وتوجيه خطاب التقوى الى المؤمنين يعني ان درجة المتقين أعلى وأسمى من درجة «الذين آمنوا»، وما يؤكد ذلك قوله تعالى: «**... إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم...**» (الحجرات: ١٣)، فتكريم الإنسان عند الخالق لايتم إلاّ بوصوله الى درجة رفيعة من السمو الأخلاقي ومخافة الله وخشيته في روعه ووقاية نفسه مما يغضب الله سبحانه وتعالى، ليصل الى درجة التقوى، ثم التكريم عنده جلَّ وعلا.

ومما يراه صاحب (الميزان) المرحوم السيد الطباطبائي ان المتقين هم المؤمنين، وليست التقوى صفة خاصة لطبقة من طبقاتهم، بل هي صفة جامعة لجميع مراتب الايمان، بدليل قوله تعالى: «**ذلكَ الكتاب لاريب فيه هدىً للمتقين* الذين يُؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم يُنفقون* والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يُوقنون* أولئكَ على هدىً من ربهم و أولئكَ هُمُ المُفلحون**» (البقرة: ٢ــ٥) فالذي أخذه الله تعالى من الأوصاف المعرِّفة للتقوى، خمس صفات، وهي: الإيمان بالغيب، إقامة الصلاة، الإنفاق مما رزق الله سبحانه، الإيمان بما أنزله على أنبيائه، والإيقان بالآخرة..

ومهما يكن من أمر، فإنَّ المتقين هم الذين يجمعون جميع مراتب الايمان، أي هم قمة المؤمنين، ولا خلاف في هذا، ولذلك وصفهم الله تعالى بأنهم على هدىً من ربهم.. وتلبسهم بلباس الهداية إنما هي نتيجة طبيعية لتلبسهم بالصفات الكريمة المذكورة في الآية السابقة..

وكما يعودنا الإسلام دائماً بالإعتدال وعدم تكليف النفس مالا تطيق، كذلك القرآن الكريم عندما يتحدث عن التقوى، يقول: «**فاتّقوا الله ما استطعتم...**»(التغابن: ١٦)، ويزرع القرآن الكريم في نفس المتقي آمالاً واسعة لا تُحدّها أية حدود، فيقول: «**...ومن يتّق الله يجعل له مخرجاً* ويرزقه من حيثُ لا يحتسب...**» (الطلاق: ٢ــ٣)، «**... ومن يتّق الله يجعل له من أمره يُسْراً**» (الطلاق: ٤) «**يا أيها الذينَ آمنوا إنْ تتقوا الله يجعل لكم فُرقاناً[6] ويُكفّر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذوالفضل العظيم**» (الأنفال: ٢٩) «**الذين آمنوا وكانوا يتّقون* لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة**» (يونس: ٦٤). وهكذا تستمر الآيات القرآنية بهذا الإنسياب الرائع المبارك لتوصل المتقين الى جنات الخلد، فتقول: «**... للذين اتّقوا عند ربهم جناتٌ تجري من تحتها الأنهار...**» (آل عمران: ١٥)، «**لكن الذين اتقوا ربّهم لهم جناتٌ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نُزُلاً من عند الله، وما عندالله خيرٌ للأبرار**» (آل عمران: ١٩٨).

إنَّ التقوى الحقيقية هي أنْ يكون قلب المرء مستنيراً بخشية الله والشعور بعبوديته، وان يكون وعيه للقيام بين يدي ربه والمسؤولية أمامه يوم القيامة شديداً قوياً، وان يدرك إدراكاً تاماً قوياً ان هذه الحياة الدنيا ليست إلاّ مضماراً لامتحانه، حيث قد بعثه الله تعالى ومتعه الى حين من الزمن[7].

وقد قسّم الإمام الصادق (ع) التقوى الى ثلاثة أوجه: **(الأول)**: تقوى من خوف النار والعقاب بترك الجرائم وهو ما يصطلح عليه بتقوى العام، **(الثاني)**: التقوى من الله بترك الشهوات إضافة على ترك الحرام،

وهو تقوى الخاص، (الثالث): التقوى في الله بترك الحلال إضافة على ترك الشبهات. ومثل التقوى كماء يجري في النهر، ومثل هذه الطبقات الثلاث في معنى التقوى كأشجار مغروسة على حافة ذلك النهر من كل لون وجنس، وكل شجرة منها تمتص الماء من ذلك النهر على قدر جوهره و طعمه ولطافته و كثافته ثم منافع الخلق من تلك الأشجار والثمار على قدرها وقيمتها. قال الله تعالى: «... **صِنوانٌ وغير صنوانٍ يسقى بماءٍ واحدٍ ونفضّل بعضها على بعضٍ في الأكل...**» (الرعد: ٤)، فالتقوى للطاعات كالماء للأشجار، ومثل طبائع الاشجار والأثمار في لونها وطعمها مثل مقادير الايمان، فمن كان أعلى درجةً في الايمان وأصفى جوهرة بالروح كان أتقى، ومن كان أتقى كانت عبادته أخلص و أطهر، ومن كان كذلك كان من الله أقرب، وكل عبادة مؤسسة على غير التقوى فهي هباءٌ منثوراً. قال الله تعالى: «**أفمن أسّسَ بُنيانه على تقوى من الله ورضوانٍ خيرٌ أم مَنْ أسس بنيانه على شفا جُرُفٍ هارٍ فانهاربه في نار جهنم...**» (التوبة: ١٠٩)، ويختم الإمام الصادق (ع) حديثه عن التقوى بالقول: «**... تفسير التقوى ترك مالیس بأخذه بأس حذراً مما به البأس، وهو في الحقيقة طاعة بلاعصيان، وذكر بلا نسيان، وعلم بلاجهل، مقبول غير مردود**[٨]».

التقوى و مفهوم العبادة:

و يربط القرآن الكريم مفهوم التقوى بصميم القضايا التعبدية كالقتال، الوفاء بالعهد، الصبر، الحج، عدم أكل الربا، طلب الرزق الحلال، الصلاة وغيرها من الامور الشرعية، حيث تختم أغلب الأوامر الشرعية القرآنية بتوجيه رباني صارم بتقوى الله..

فعندما يتناول القرآن الكريم موضوع النهي عن تناول الربا، يربطه بالدعوة الى تقوى الله و الثقة به: «**يا أيّها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مُضاعفةً واتقوا الله لعلّكم تُفلحون**». (آل عمران: ١٣٠)، وكذلك موضوع الإرث حيث أموال الأيتام الصغار، فإنّ الله سبحانه و تعالى لم يؤمر الناس في الآية التالية بالترحم والترؤف ونحو ذلك بل بالخشية واتقاء الله والقول السديد (الرأي السديد): «**وليخش الذين لوتركوا من خلفهم ذريةً ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً**» (النساء: ٩) وكذلك الوفاء بالعهد عندما ردّ القرآن على كلام أهل الكتاب بقولهم: ليس علينا في الأميين سبيل أو نحن أولياء الله من دون الناس، ونحن أبناء الله و أحبائه: «**بلى من أوفى بعهده[٩] واتقى فإنّ الله يُحب المتقين**» (آل عمران: ٧٦)، فجعل المقياس هو التقوى في الدين والوفاء بعهد الله و ميثاقه والايمان بما أنزل الله سبحانه، وليس لله قوم يحبهم من دون تقوى و ايمان و عمل صالح، فإنّ الخالق تبارك و تعالى لايحب الناس على حساب قومياتهم وجنسهم كاليهود والعرب وغيرهم، بل ان الكرامة الإلهية لا تمنح إلاّ للمتقين الذين لايرأون يذكرون الله في كل أعمالهم وأفعالهم..

والصبر والمصابرة والمرابطة والتقوى يجمعها رابط و هو ان الأمر القرآني جاء ليجمعها في آية كريمة واحدة: «**يا أيّها الذين آمنوا اصبروا و صابروا ورابطوا واتقوا الله لعلّكم تُفلحون**» (آل عمران: ٢٠٠)، فالصبر يراد به الصبر على الشدائد، والصبر في طاعة الله، والصبر عن معصيته، والمصابرة هي التصبر وتحمل الأذى جماعة باعتماد صبر البعض على صبر آخرين، فيتقوى الحال و يشتد الوصف و يتضاعف تأثيره، والمرابطة هي الإرتباط بين قوى الجماعة وأفعالهم في جميع شؤون حياتهم الدينية، ثم تقوى الله حيث تجنب المعاصي ووقاية النفس مما يغضب الله سبحانه..

كان العرب في الجاهلية يعتبرون المرأة عُنصراً ساقطاً لاقيمة ولا كرامة له، وعندما جاء الإسلام نزلت مجاميع من الآيات القرآنية في أمر النساء حول الزواج والتحريم والإرث وغير ذلك، وقد نزلت هذه الآيات حين كلّم الناس رسول الله (ص): «**ويستفتونك في**

النساء، قل الله يُفتيكم فيهنَّ...» (النساء: ١٢٧). فأُرجعت للمرأة حقوقها المهدورة في جميع مجالات الحياة.. «ولله ما في السماوات وما في الأرض، ولقد وصّينا الذين أُوتوا الكتاب من قبلكم وإيّاكم أنِ اتقوا الله وان تكفروا فإنّ لله ما في السماوات وما في الأرض وكان الله غنياً حميداً» (النساء: ١٣١)، و في هذه الآية الكريمة تأكيد في دعوة الناس الى مراعاة صفة التقوى في جميع مراحل المعاشرة الزوجية، وفي كل حال، و ان في تركه كفراً بنعمة الله.. وإنْ تكفروا فان لله ما في السماوات وما في الأرض... أي ان لم تحفظوا ماوصينا به إياكم والذين من قبلكم وابتعدتم عن تقوى الله، فانه كفر بنعمة الله، وهذا النوع من الكفر يصطلح عليه في الشرع الإسلامي بالكفر المستكن أو المستبطن.

وحتى في القصاص، وردّ الإعتداء بالمثل، أمر الإسلام بمراعاة صفة التقوى، حيث ذكر القرآن الكريم ان الحرمات قصاص، والحرمات هو ما يحرم هتكه، وهي حرمة الشهر الحرام، حرمة الحرم، وحرمة المسجد الحرام، فإنْ اعتدى المشركون فعليكم بالردّ، فإنكم إنما تجاهدون في سبيل الله: «الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قِصاصٌ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل مااعتدى عليكم، واتّقوا الله واعلموا أنّ الله مع المُتقين» (البقرة: ١٩٤). وقد هتك المشركون الشهر الحرام حين صدوا النبي (ص) وأصحابه عن الحج عام الحديبية ورموهم بالسهام والحجارة فأجاز الله للمؤمنين أن يقاتلوهم فيه.. و مراعاة التقوى هنا هو وعي المؤمنين بملازمة طريقة الإحتياط في الإعتداء حتى لايطغى الإنسان و ينحرف عن جادة الإعتدال، والله سبحانه وتعالى لا يحب المعتدين..

وفي الحج أمر الله سبحانه وتعالى بتقوى الله و ذكّر بأنّ يوم الحج له يوم مرادف و هو يوم الحشر والبعث، يوم يحشر الله الناس جميعاً فلا يغادر منهم أحداً: «واذكروا الله في أيام معدودات، فمن تعجّل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخّر فلا إثم عليه لمن اتّقى، واتّقوا الله واعلموا أنّكم اليه تُحشرون» (البقرة: ٢٠٣)، وصدر الآية يبين حكماً من أحكام الحج، والأيام المعدودات هي أيام التشريق ١١ـ١٣ ذي الحجة. والتذكير بالتقوى وربطها بالحشر التفاتة الى أنّ التقوى لا تتم، والمعصية لاتجتنب، إلاّ مع ذكر يوم الجزاء، ولذلك قال تعالى: «... إنّ الذين يضلُّون عن سبيل الله لهم عذابٌ شديدٌ بما نسوا يوم الحساب» (ص: ٢٦). وفي آية أُخرى ربط القرآن الكريم بين العلم والعمل، ودعى الى التقوى لئلا يفقد المشتغل بطاعة الله معنى العمل: «الحجُّ أشهرٌ معلوماتٌ[١٠] فمن فرض فيهنّ الحجَّ فلا رفث[١١] ولا فُسوق ولا جدال في الحجّ[١٣] وما تفعلوا من خير يعلمه الله، وتزودوا فإنّ خير الزاد التقوى واتّقونِ يا أُولي الألباب» (البقرة: ١٩٧)، وفي هذه الآية المباركة وجوه إشراقية جميلة، فمعنى التزود ان أخذ الزاد يتم في فترات كالتزود بالطعام والتزود بالوقود وغيره، وعلى هذا فان التقوى تحتاج الى تزود دائمي من ذكر الله سبحانه، وربط الأعمال الحياتية كلها بعنصر الخوف والخشية منه تعالى، وهذا الأمر لا يدركه إلاّ أصحاب العقول السديدة الواعية، ولذلك ختم الله سبحانه الآية الكريمة بقوله: «واتقوني يا أولي الألباب»، دلالة على أنَّ مفهوم التقوى لا تدركه إلاّ العقول السليمة والقلوب الواعية والنفوس المبصرة... إنها دعوة فيها الكثير من الحنان والمودة من الخالق عزّوجلّ الى الطبقة الواعية المفكرة من مخلوقاته التي تعيش على هذا الكوكب..

وهاجم القرآن الكريم إحدى العادات الجاهلية التي كان يستخدمها جماعة من العرب إذ كانوا إذا أُحرموا للحج لم يدخلوا بيوتهم عند الحاجة من الباب بل اتخذوا نقباً من ظهورها ودخلوا منه و كانوا يدعون هذه العادة نوعاً من البر.. فوضّح القرآن الكريم ان البر هو التقوى، والتقوى هي الصفة التي تجتمع فيها جميع مراتب الايمان ومقامات الكمال، قال تعالى: «يسألونك عن الأهلّة[١٤] قل هي مواقيت للناس والحجّ، وليس البرُّ بأنْ تأتوا البيوت من

ظهورها ولكنّ البرّ من اتّقى وأتوا البيوت من أبوابها واتّقوا الله لعلّكم تُفلحون» (البقرة: ١٨٩) و تحدث القرآن الكريم عن الكافرين الذين كانوا يصدون عن المسجد الحرام و يمنعون المؤمنين من دخوله، فقال: «ومالهم ألاّ يُعذبهم الله وهم يصدّون عن المسجد الحرام وما كانوا أوليآءه إن أوليآؤه إلاّ المتقون ولكنّ أكثرهم لايعلمون» (الأنفال: ٣٤). أي ماالذي يثبت ويحق لهم عدم تعذيب الله إياهم والحال انهم يصدون عن المسجد الحرام، وليسوا هم الأولياء «وماكانوا أولياءه» أي ليس لهم أنْ يلوا أمر البيت فيجيزوا ويمنعوا من شاءوا لأنّ هذا المسجد مبني على تقوى الله فلايلي أمره إلاّ المتقون.. وهذا تفويض رباني لهؤلاء المتقين الأبرار..

* * *

يتميز المنافق عن المؤمن المتقي، ان المنافق في زمن الرسول الأكرم(ص) كان يطلب الإستئذان في التخلف عن الجهاد في سبيل الله «لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يُجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين* إنما يستأذنك الذين لايؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون» (التوبة: ٤٤ــ٤٥). وقد بيّن الله سبحانه و تعالى ان الجهاد بالأموال والأنفس من لوازم الايمان بالله و اليوم الآخر. وهذا الايمان هو الذي يفرز صفة التقوى، و لذلك وصف الله هؤلاء المؤمنين المجاهدين بأموالهم وأنفسهم بالمتقين، أما المنافقون فقد فقدوا صفة التقوى لأنهم رفضوا الإيمان الذي يوقر في القلب، بل أُمتلئت قلوبهم بالشك والريبة، فهم يستأذنون الرسول(ص) بالتخلف عن الجهاد في سبيل الله، متذرعين بمختلف الحجج والأعذار «... ويستأذنُ فريقٌ منهم النبيّ يقولون إنّ بيوتنا عورة[١٥] وماهي بعورة ولكن إنْ يُريدون إلاّ فِراراً» (الأحزاب: ١٣).

* * *

وذكّر القرآن الكريم المؤمنين المقاتلين بأنّ صفة التقوى تقرب للوعد الآلهي بالنصر والغلبة والظفر، وذكّرهم أيضاً بمراعاة التقوى في القتال بعدم قتل النساء والصبيان وحرق المدن و قطع الأشجار وغيرها، فقال تعالى: «... وقاتلوا المشركين كافةً كما يُقاتلونكم كافةً وآعلموا أنّ الله مع المُتقين» (التوبة: ٣٦). وقد قتل خالد بن الوليد في غزوة حنين إمرأة،فأرسل اليه النبي (ص) ينهاه عن ذلك، وقتل رجالاً من بني جذيمة وقد أسلموا فوادّهم الرسول (ص) و تبرأ الى الله من ذلك الفعل ثلاثاً، وقتل أسامة مشركاً (و يقال إنه يهودياً) أظهر له الإسلام فنزل قوله تعالى: «يا أيُّهاالذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبيّنوا، ولاتقولوالمن ألقى إليكم السلام لستَ مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدُنيا فعند الله مغانم كثيرةٌ...» (النساء: ٩٤)، والآية تشتمل على العظة ونوع من التوبيخ، والظاهر انه كان قتل خطأ من أسامة لذلك الذي ألقى السلام من المشركين لعدم وثوق القاتل بكونه مؤمناً حقيقة بزعم انه إنما يظهر الايمان خوفاً على نفسه، والآية توبخه بأنّ الإسلام إنما يعتبر بالظاهر، ويحل أمر القلوب الى اللطيف الخبير.[١٦]

التقوى والأخلاق:

ودعى القرآن الى تقوى الله واصلاح ذات البين، حيث تخاصم بعض المؤمنين على غنائم الحرب في بدر، فقالوا بملكية الغنائم إستناداً الى قوله تعالى: (فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً وآتقوا الله إنّ الله غفورٌ رحيمٌ» (الانفال: ٦٩) فنزلت الآية التالية لتقر ملك الأنفال (الغنائم) لله و الرسول وتنهيهم عن التخاصم والتشاجر، فلمّا انقطع بذلك تخاصمهم أرجعها النبي (ص) اليهم، وقسّمها بينهم بالسوية «يسألونك عن الأنفال[١٧] قُل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إنْ كنتم مؤمنين» (الأنفال: ١) فالدعوة الى تقوى الله واضحة في موارد الخصومة والشجار، والواقع أن لاشيء يحل مشاكل التنازع والتخاصم غير تقوى الله و مخافته

وخشيته سبحانه وتعالى.. فتوبيخ بعض المؤمنين الذين لا يراعون حرمات الله يمكن أن يكون نافذاً بذكر قوله تعالى: «**اتقوا الله إنْ كنتم مؤمنين**»، كما قال عيسى بن مريم للحواريين حين اقترحوا عليه أنْ يريهم آية خاصة، كأنْ ينزل الله عليهم مائدة من السماء مع علمهم بمعجزات السيد المسيح (ع): «**... أخلقُ لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله،...**» (آل عمران: ٤٩)، فقال الله تعالى في هذا الشأن: «**إذْ قال الحواريُّونَ يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربُّكَ أن يُنزِّل علينا مائدةً من السماء قال: اتقوا الله إنْ كنتم مؤمنين**» (المائدة: ١١٢).

* * *

«**وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لانسألكَ رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للتقوى**» (طه: ١٣٢)، الآية الكريمة أمر واضح بإقامة الصلاة و بالدعوة لها وخاصة دعوة الأقربين اليها والتفكر في الله، وفي رواية ان آية «**وأمر أهلك بالصلاة**» عندما نزلت كان النبي (ص) يجيء الى باب علي وفاطمة (ع) (مدة ثمانية أشهر) فيأخذ بعضادتي الباب يسكون، ثم يقول «**السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، الصلاة يرحمكم الله، إنما يُريدُ الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً**». ورَبْط الأمر الإلهي بالصلاة والصبر عليها، فيها التفاتة كريمة وهي ان إقامة الصلاة لابُدَّ وأنْ تجعل الإنسان يمرُّ بمعاناة أو شدة أوضيق، ولذلك فان الأمر الإلهي مصحوب بالصبر على الصلاة و يتلي قوله تعالى «**وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها...**» و بالتأكيد فان العاقبة الكريمة للمتقين، أولئك الذين يقيمون الصلاة و يصبرون عليها، أولئك الذين لا تملّ شفاههم من ذكر الله سبحانه حيث الرجوع اليه، والحساب بيده، والجزاء بيده «**وأنْ أقيموا الصلاة واتّقوه وهو الذي اليه تُحشرون**» (الأنعام: ٧٢). إنَّ حث القرآن الكريم على إقامة الصلاة وتشبيت التقوى في نفس الانسان المؤمن دليل على أنّ الإستعداد للوقوف أمام الخالق سبحانه وتعالى يوم الحشر لايكتمل إلاّ بإنجاز مايؤمرنا الله به، وإقامة الصلاة معناها إقامة الدين، وتقوى النفس معناها الإرتفاع عن كل ما يعصي أمر الله سبحانه، و بانجاز هذين العملين يستطيع الإنسان أنْ يقف يوم القيامة، ولديه رصيد أمام الله رب العالمين..

وشدَّد القرآن الكريم على مفهوم الصبر، واعتبر ان الصبر بشرى للإنسان المؤمن باعتبار ان الله هو الذي يقوّي هذا الإنسان في صبره «**واصبر وماصبرك إلاّ بالله ولا تحزن عليهم ولا تَكُ في ضيقٍ مما يمكرون * إنَّ الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون**» (النحل: ١٢٧ــ١٢٨)، وما أجمل أن يكون الله سبحانه مع الإنسان المؤمن الذي يحمل هذه الصفات الجميلة.. الصبر، التقوى، والإحسان «**إنَّ الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون**»..

ودعا القرآن الكريم الى التعاون على أساس البرِّ والتقوى، وهو العمل الصالح المختلط بالايمان وتقوى الله، ونهى عن الإجتماع على الإثم والعدوان والتعدي على حقوق الناس، فقال تعالى: «**...وتعاونوا على البرِّ والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إنَّ الله شديد العقاب**» (المائدة: ٢)، وهذا هو الأساس في الأخلاق الإسلامية، حيث فسَّر الله سبحانه البرَّ في كلامه بالايمان والإحسانْ في العبادات والمعاملات، كما قال تعالى: «**...ولكنَّ البرَّ من آمن بالله واليوم الآخر...**» (البقرة: ١٧٧)، ثم أكَّد الله سبحانه نهيه عن الإجتماع على الإثم والعدوان بقوله: «**واتقوا الله إنَّ الله شديد العقاب**»..

* * *

و يستمر القرآن الكريم في حديثه عن التقوى والمتقين فيتطرق الى (النجوى)[١٨].. «**يا أيُّها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرَّسول وتناجوا بالبرِّ والتقوى، واتَّقوا الله الذي اليه تُحشرون**» (المجادلة: ٩). حيث أشاعت مجموعة من المنافقين والذين في قلوبهم مرض من المؤمنين بينهم النجوى معادة للرسول (ص)، وقد أكثر هؤلاء السؤال على النبي (ص)

حتى شقوا عليه، فأمرهم الله بالآية التالية ان يتصدقوا قبل أن يسألوا «**يا أيّها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرّسول فقدّموا بين يدي نجواكم صدقةً، ذلك خيرٌ لكم وأطهر...**» (المجادلة: ١٢)، فامتثل القليل منهم، ومنهم الإمام علي (ع).. وقد وبخهم القرآن الكريم بقوله: «**ألَمْ تَرَ إلى الّذينَ نُهوا عن النجوى ثم يعودون لما نُهوا عنه...**» (المجادلة: ٨). وقد أُجيز للمؤمنين النجوى واشترط عليهم أنْ لايكون تناجياً بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وأنْ يكون تناجياً بالبرّ والتقوى، وجاء الأمر الإلهي مرة أُخرى بالتقوى مذكراً بيوم الحشر والحساب.

* * *

إنَّ المؤمن المتقي لايمكن أنْ يرضى بأنْ يتخذ دينه وسيلة للعب والمزاح والهزء،ولا يمكن أن يرضى بأنْ يكون ولاة أمره من أُولئك الذين لايعيرون للدين التفاتة أو أهمية تذكر، فجاء الخطاب للمتقين الآخذين بعروة الايمان.. قوله تعالى: «**يا أيّها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هُزُواً ولعباً من الذين أُوتوا الكتاب من قبلكم والكفّار أولياء واتّقوا الله إن كنتم مؤمنين**» (المائدة: ٥٧). والتقوى في هذا المعنى إنماتعني عدم السماح للفساق من الناس بتولي أُمور الأُمة الإسلامية وتدبير شؤونها، فالولاية التي من لوازمها التصرف في الشؤون الإجتماعية والنفسية والدينية للأُمة لايجوز أنْ تحتضنها وتحكم سيطرتها أيادي غير أمينة لا تملك ذرة من الأخلاق.. وقوله تعالى: «**واتقوا الله إنْ كنتم مؤمنين**» بمنزلة التأكيد لقوله: «**لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء**»، وكأنَّ الخطاب موجّه الى التزام صفة التقوى وعدم اتخاذ الفسقة من الناس أولياء يحكمون الناس بعيداً عن حكم الله سبحانه و تعالى..

* * *

يشتغل بعض الناس في مجالسهم الخاصة والعامة بالخوض في آيات الله من سب وشتم واستهزاء بخالق السماوات والأرض سبحانه و تعالى، و هذه الطبقة من الناس فقدت كل رادع، وأصبح ضميرها الذي ترجع اليه صخرة ميتة فقدت الحياة، و لذلك نهى القرآن الكريم مجالسة هؤلاء الناس ماداموا يخوضون في آيات الله «**واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديثٍ غيره، واما يُنسينّك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين * وما على الذين يتّقون من حسابهم من شيءٍ ولكن ذكرى لعلّهم يتّقون**» (الأنعام: ٦٨ــ٦٩)، و خطاب الآية موجّه الى النبي (ص) ولكن يقصد به عموم المؤمنين. والأنبياء (ع) كما نعلم معصومون من الوقوع في الأخطاء الشرعية كنسيان الحكم الإلهي ومخالفته «**واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين**»، فالمقصود: أيها المؤمن حتى لو غفلت عن ذكرنا بما أنساك الشيطان ثم ذكرت الله فلا تتهاون في القيام وترك المجلس الشيطاني، فإنَّ المتقين لايمكن أن يشاركوا هؤلاء الخائضين خوضهم في آيات الله.. وما على المتقين من حساب هؤلاء الخائضين شيء أمام الله تعالى.. إنها ذكرى و لعلّهم يتقون..

* * *

وخاطب القرآن الكريم الرسول محمد(ص) بقوله إنه أحد المرسلين الذين كانوا رجالاً من أهل القرى (أهل المدن) يخالطون الناس و يعرفونهم مع فرق متميز واحد و هو حمل الرسالة الى البشر «**وما أرسلنا من قبلك إلاّ رجالاً نوحي اليهم من أهل القرى أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خيرٌ للذين اتّقوا أفلا تعقلون**» (يوسف: ١٠٩)، وليست دعوة الرسول الكريم (ص) إلا لإصلاح حال الناس وتغييرهم و إلزامهم صفة التقوى حتى يفلحوا بالحياة الخالدة والنعيم المقيم.. والتأكيد على أنَّ المرسلين من أهل القرى إشارة واضحة الى أنَّ الرسل ليسوا بملائكة وإنما هم رجال أتقياء عايشوا أقوامهم فبعثهم الله سبحانه و تعالى حاملين رسالته ليبشروا الخير والسعادة والطمأنينة على عموم البشر.. و إنَّ دعوتهم إنما هي التقوى وليس ماوراء التقوى إلاّ مافيه خيرهم و شمول سعادتهم..

التقوى تلغي السيّئات:

كان شرب الخمر في الجاهلية عادة جارية يمارسها الكثير من الناس إلاّ من عصم الله، و بعد أن مدّ الإسلام بظله على البشرية حرم هذه العادة المنافية للفطرة والذوق السليم، فنزلت بعض الآيات الكريمة متعرضة لحال من أُبتلي بها من المسلمين: «**ليس على الّذين آمنوا وعملوا الصالحات جُناحٌ فيما طَعِموا**[19] **إذا ما اتّقوا وآمنوا وعملوا الصالحات، ثم اتّقوا وآمنوا، ثُمّ اتّقوا وأحسنوا والله يُحبُّ المحسنين**» (المائدة: ٩٣). لقد أجابهم القرآن ان ليس عليهم جناح إنْ كانوا من الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وكانوا من المتقين المحسنين، وفي الآية الكريمة تكرار لصفة التقوى ثلاث مرات، فالتقوى الأولى: «**إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات**»، هو الايمان المقرون بالعمل الصالح. والتقوى الثانية: قوله: «**ثم اتقوا و آمنوا**» هو الإيمان التفصيلي بكل ماجاء به الرسول (ص) «**يا أيها الّذينَ آمنوا اتّقوا الله وآمنوا برسوله...**» (الحديد: ٢٨). والتقوى الثالثة، قوله: «**ثم اتقوا وأحسنوا**» إضافة الإحسان الى الإيمان، كما في قوله تعالى: «**إنّ الّذينَ آمنوا و عملوا الصالحات إنّا لانُضيع أجر من أحسن عملاً**» (الكهف: ٣٠) و قوله تعالى: «**الّذينَ استجابوا لله و الرسول من بعدما أصابهم القَرْحُ، للّذينَ أحسنوا منهم واتّقوا أجرٌ عظيمٌ**» (آل عمران: ١٧٢)، و من هنا ندرك ان القرآن الكريم يؤكد على انه لاجناح على الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيما ذاقوه من خمر أو أيّ محرم آخر شرط أنْ يلازموا صفة التقوى والإحسان في ايمانهم، و هذا نظير قوله تعالى في آيات تحويل القبلة في جواب سؤالهم عن حال الصلاة التي صلوها الى غير الكعبة: «**...وما كان الله ليُضيعَ إيمانكم...**» (البقرة: ١٤٣). وكذلك أمر القرآن الكريم بالتقوى عندما حلل صيد البحر، قال تعالى: «**أُحِلّ لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسّيّارة وحُرّم عليكم صيد البَرّ مادمتم حُرُماً واتّقوا الله الذي اليه تُحشرون**» (المائدة: ٩٦).

لباس التقوى:

وذكر القرآن الكريم ان لباس الإنسان لايشتمل فقط على ما يستر البدن، وانما هناك لباساً آخر يواري السوآت الباطنية التي يسوء الإنسان ظهورها، وهي رذائل المعاصي، فقال عزّمن قائل: «**يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يُواري سَوْآتِكُمْ وريشاً**[20] **ولباس التّقوى ذلك خيرٌ ذلك من آيات الله لعلّهم يَذّكّرون**» (الأعراف: ٢٦)، ومايريده القرآن الكريم ان لباس التقوى خير عاصم يعصم الإنسان من ارتكاب الرذائل والمحرّمات، فالتقوى هي خشية الإنسان من ربه بالغيب «**ولقد آتينا موسى و هارون الفُرقان وضياءً وذكراً**[21] **للمُتّقين * الّذين يخشون ربّهم بالغيب وهم من الساعة مُشفقون**» (الأنبياء: ٤٨ــ٤٩). فالإنسان المتقي هو الإنسان الذي لايدع الليل يمر إلاّ ويجعله نوراً يشع بذكر الله و بالإ تصال به سبحانه فيتقلب بين أمواج الايمان، فاتحاً قلبه للقرآن، وعقله للتفكر في خلق الله والكون والحياة، وروحه للرحمن.. فينام هذا الإنسان على فراش الرحمة والسكينة «**ذلك من آيات الله لعلّهم يذّكّرون**».

إنّ من واجب الإنسان أنْ يجتهد في إسعاد حياته، ويختار الخير على الشر، ولا يمكن أن يرى طريق الخير إلاّ عن طريق التقوى، فإنّ النفوس التقية تمتلك العقول السليمة، قال تعالى: «**قُلْ لايستوي الخبيثُ والطيبُ ولو أعجبك كثْرَةُ الخبيثِ فاتقوا الله يا أُولي الألباب لعلّكُمْ تُفْلِحونَ**» (المائدة: ١٠٠)، فتوجيه الخطاب بالتقوى الى أُولي الألباب (أي أصحاب العقول) يعني ان صاحب اللب السليم أكثر تقبلاً لخشية الله من الجهلاء من الناس، فصاحب الفكر والعقل السليم يدرك بعقله ان الخالق عزّوجلّ جدير بالخشية والعبادة، ولذلك ذكر القرآن الكريم: «**...إنّما يخشى الله من عباده العُلماء...**» (فاطر: ٢٨) أي ان أكثر الناس خشية من الله هم العلماء العارفون.

«وما الحياة الدنيا إلاّ لعبٌ ولهوٌ وللدار الآخرة خيرٌ للذين يتّقون أفلا تعقلون» (الأنعام: ٣٢). ان الحياة الدنيا لعب ولهو، فهي تدور كما تدور الكرة في لعب الأطفال، و بذلك فهي شاغلة للإنسان عمّا يهمه من الحياة الأُخرى، حيث الحياة الحقيقية الخالدة، و بالتأكيد فان الحياة الحقيقية خير من حياة الوهم والخيال، والحياة الدائمة الباقية خير من الحياة القصيرة الفانية، و لذلك فان الدار الآخرة خير للمتقين الذين عملوا الصالحات، وجاءوا الله بقلب سليم. يقول تعالى: «واتّقوا يوماً تُرجعون فيه الى الله ثُمَّ تُوفّى كُلُّ نفسٍ ماكسبت وهم لايُظلمون» (البقرة: ٢٨١)، و هو تذكير عام بيوم القيامة حتى ترجع النفوس لتقوى الله والورع عن محارمه.. إنَّ أمامكم يوماً ترجعون فيه الى الله، فتوفى كل نفس ماكسبت وهم لا يظلمون..

والتقوى إنما تحصل بالتبصر في المناهي الإلهية والورع عن محارمه تعالى، ولمّا كان الصراط المستقيم هو الجامع للتكاليف وهو المجزي عند الله فقد أمر باتباعه، ونهى عن اتباع السبل والطرق الأُخرى التي تهلك الإنسان في مسيرته الصاعدة في الحياة «وأنَّ هذا صراطي مستقيماً فاتّبعوه ولا تتّبعوا السبل [٢٢] فتفرّقَ بكم عن سبيله ذلكم وصّاكم به لعلّكم تتّقون * ثُمَّ آتينا موسى الكتاب تماماً على الذي أحسنَ وتفصيلاً لكلّ شيء وهدىً ورحمةً لعلّهم بلقاء ربّهم يُؤمنون * وهذا كتابٌ أنزلناه مُبارك فاتّبعوه واتّقوا لعلّكم تُرحمون» (الأنعام: ١٥٣ــ ١٥٥).

الإمام علي (ع) والتقوى:

و يتحدث الإمام علي(ع) عن التقوى، فيقدم حديثاً رائعاً عن مفهوم التقوى في الإسلام، فيقول(ع):

وَأوْصاكُمْ بِالتَّقْوىٰ، وَجَعَلَها مُنْتَهىٰ رِضَاهُ، وَحَاجَتَهُ مِنْ خَلْقِهِ، فَاتَّقوا اللهَ الَّذي أنْتُمْ بِعَيْنِهِ[٢٣]، وَنَواصِيكُمْ بِيَدِهِ، وَتَقَلُّبُكُمْ في قَبْضَتِهِ. إنْ أسْرَرْتُمْ عَلِمَهُ، وَإنْ أعْلَنْتُمْ كَتَبَهُ؛ قَدْ وَكَّلَ بِذلِكَ حَفَظَةً كِرَاماً، لايُسْقِطُونَ حَقّاً، ولا يُثْبِتونَ باطِلاً.

وَاعْلَموا أنه «مَنْ يتّقِ اللهَ يَجْعَلْ له مَخْرَجاً» مِنَ الْفِتَنِ، وَنُوراً مِنَ الظُّلَمِ، وَيُخَلِّدْهُ فِيما اشْتَهَتْ نَفْسُهُ، وَيُنْزِلُهُ مَنْزِلَ الْكَرَامَةِ عِنْدَهُ، في دارٍ اصْطَنَعَهَا لِنَفْسِهِ، ظِلُّها عَرْشُهُ، وَنُورُها بَهْجَتُهُ، وَزُوَّارُها مَلائِكَتُهُ، وَرُفَقَاؤُها رُسُلُهُ، فبادِروا الْمَعَادَ، وسابِقُوا الآجالَ، فَإنَّ النَّاسَ يُوشِكُ أنْ يَنْقَطِعَ بِهِمُ الأمَلُ، وَيَرْهَقَهُمُ الأجَلُ [٢٤]، وَيُسَدَّ عَنْهُمْ بَابُ التَّوْبَةِ. فَقَدْ أصْبَحْتُمْ في مِثْلِ ماسألَ إلَيْهِ الرَّجْعَةَ [٢٥] مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ، وَأنْتُمْ بَنُو سَبِيلٍ، على سَفَرٍ مِنْ دَارٍ لَيْسَتْ بِدارِكُمْ، وقد أُوذِنْتُمْ بِالإرْتِحالِ، وَأُمِرْتُمْ فيها بِالزَّادِ، وَاعْلَمُوا أنَّهُ لَيْسَ لِهذا الْجِلْدِ الرَّقيقِ صَبْرٌ على النَّارِ، فَارْحَمُوا نُفُوسَكُمْ، فَإنَّكُمْ قَدْ جَرَّبْتُمُوها في مصائِبِ الدُّنْيا.

أفَرَأيْتُمْ جَزَعَ أحَدِكُمْ مِنَ الشَّوْكَةِ تُصيبُهُ، وَالْعَثْرَةِ تُدْمِيهِ، وَالرَّمْضاءِ تُحْرِقُهُ؟ فَكَيْفَ إذا كانَ بَيْنَ طابَقَيْنِ من نارٍ، ضَجيعَ حَجَرٍ وَقَرِينَ شَيْطانٍ! أعَلِمْتُمْ أنَّ مالِكاً [٢٦] إذا غَضِبَ على النّارِ حَطَمَ بَعْضُها بَعْضاً لِغَضَبِهِ، وإذا زَجَرَها تَوَثَّبَتْ بَيْنَ أبوابِها جَزَعاً مِنْ زَجْرَتِهِ!

أيُّها الْيَفَنُ الْكَبيرُ [٢٧]، الَّذي قَدْ لَهَزَهُ الْقَتيرُ [٢٨]، كَيْفَ أنْتَ إذا الْتَحَمَتْ أطْواقُ النّارِ بِعِظامِ الأعْناقِ، وَنَشَبَتِ الْجَوامِعُ [٢٩] حَتّى أكَلَتْ لُحُومَ السَّواعِدِ. فالله اللهَ مَعْشَرَ الْعِبادِ! وَأنْتُمْ سالِمونَ في الصِّحَّةِ قَبْلَ السُّقْمِ، وفي الْفُسْحَةِ قَبْلَ الضِّيقِ. فَاسْعَوا في فَكاكِ رِقابِكُمْ مِنْ قَبْلِ أنْ تُغْلَقَ رَهائِنُها [٣٠]. أسْهِرُوا عُيُونَكُمْ، وأضْمِرُوا بُطُونَكُمْ، وَاسْتَعْمِلُوا أقْدامَكُمْ، وَأنْفِقُوا أمْوالَكُمْ، وَخُذوا مِنْ أجْسادِكُمْ فَجُودُوا بِها على أنْفُسِكُمْ، ولا تَبْخَلُوا بِها عنها، فَقَدْ قال اللهُ سبحانه: «إنْ تَنْصُروا اللهَ يَنْصُرْكُمْ ويُثَبِّتْ أقْدامَكُمْ» وقال تعالى: «مَنْ ذا الَّذي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ، وَلَهُ أجرٌ كَريمٌ». فَلَمْ يَسْتَنْصِرْكُمْ مِنْ ذُلٍّ، وَلَمْ يَسْتَقْرِضْكُمْ مِنْ قُلٍّ؛ اسْتَنْصَرَكُمْ «وَلَهُ جُنُودُ السَّماواتِ والأرض وَهُوَ الْعَزيزُ الحكيمُ»، وَاسْتَقْرَضَكُمْ «وَلَهُ خَزائِنُ السَّماواتِ والأرض، وَهُوَ الْغَنيُّ الحميدُ». وإنما أراد أنْ «يَبْلُوَكُمْ [٣١] أيُّكُمْ أحسنُ عملاً». فبادِروا بِأعمالِكُمْ تكُونُوا مَعَ جيرانِ الله في داره. رافَقَ بِهِمْ رُسُلَهُ، وَأزارَهُمْ ملائِكَتَهُ، وأكْرَمَ أسْماعَهُمْ أنْ

تَسْمَعَ حَسِيسَ[32] نارٍ أبداً، وَصَانَ أجْسادَهُمْ أنْ تَلْقىٰ لُغُوباً وَنَصَباً[33]: «ذٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤتِيهِ مَنْ يَشاءُ، واللهُ ذو الفَضْلِ العَظِيمِ».

أقُولُ ما تَسْمَعُونَ، وَاللهُ آلْمُسْتعانُ على نَفْسي وَأنْفُسِكُمْ، وَهُوَ حَسْبُنا وَنِعْمَ آلْوَكِيلُ[34].

عاقبة المتقين:

والنتيجة.. ان المتقين يحشرون في جنان الخلد، جزآءً بما عملوا من الصالحات في حياتهم الدنيا «يوم نحشر المُتَّقين الى الرحمن وفداً[35] * ونسوق المُجرمين إلى جهنَّم وِرْداً»[36] (مريم: ٨٥ــ٨٦) والمراد بحشرهم الى الرحمن حشرهم الى الجنة. وانما سُمِّي حشراً الى الرحمن لأنَّ الجنة مقام قربه تعالى، فالحشر اليها حشر اليه[37]. أما المجرمين الكافرين المفسدين في الأرض فانهم يركضون الى جهنم كما يجري الضمآن الى مجرى الماء جزآءً بما كانوا يعملون. وسأل الإمام علي (ع) رسول الله (ص) عن تفسير قوله عزَّوجلَّ: «يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفداً» قال (ص): يا علي الوفد لا يكون إلاّ ركباناً أولئك رجال اتقوا الله عزَّوجلَّ فأحبهم وآختصهم ورضي أعمالهم فسمَّاهم الله متقين.

«إنَّ المُتقين في جنّاتٍ ونَهَرٍ * في مقعد صدقٍ عند مليكٍ[38] مُقتدرٍ» (القمر: ٥٤ــ٥٥) يوضح القرآن الكريم المتقين في هذه الآية في جنات عظيمة الشأن، جليلة الوصف، والنهر قد يعني الجنس، أي النهر المصطلح عليه، وقد يعني السعة. والمراد بالصدق صدق المتقين في ايمانهم وعملهم، ولعله يراد بمقعد صدق ان مقامهم فيه صدقاً لايشوبه كذب مع نعيم دائم عند الملك الجبار المقتدر سبحانه و تعالى.. و هذا ما يسر قلب كل انسان متقي بما وعد من الثواب و الحضور عند ربه المليك المقتدر. يقول النبي (ص): يا أبادجانة؛ أما علمت أنَّ من أحبَّنا وَآبتُلي بمحبَّتنا أسكنه الله تعالى معنا؟ ثم تلا قوله تعالى: «في مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدرٍ».

ان المتقين يوم القيامة في درجات عليا حيث النعم الوافرة والرزق الكريم، وهم ينظرون الى تحتهم فيرون الكافرين الذين كانوا يسخرون منهم في الدنيا، يئنون تحت العذاب الأليم.. «زُيِّنَ لِلَّذين كفروا الحياة الدنيا و يسخرون من الذين آمنوا والَّذينَ اتَّقوا فوقهم يوم القيامة والله يرزق من يشاء بغير حساب» (البقرة: ٢١٢). إنَّ الحياة الدنيا ببريقها وبهجتها تخدع الإنسان فينشغل بها وتستهويه شهواتها فينسى الله و ينسى نفسه، فيدع نفسه تلهو و تلعب كما تشاء، والكفر هنا إما كفر مطلق، أي يكفر بوجود الله سبحانه، و مقابله ايمان مطلق، أو كفر بستر حقيقة من الحقائق الدينية، و تغيير نعمة دينية. فالإنسان في هذه الحالة كافر زينت له الحياة الدنيا.. «تلك الدار الآخرة نجعلُها للَّذينَ لايُريدون عُلُوّاً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمُتَّقين» (القصص: ٨٣).

«مثل الجنّة التي وُعِدَ المتقون، تجري من تحتها الأنهار أُكُلُها دائمٌ وظلُّها، تلك عُقبى الَّذينَ اتَّقوا وعقبى الكافرين النّار» (الرعد: ٣٥). الآية الكريمة تكشف مقابلة رائعة بين عاقبة المتقين وعاقبة الكفار، فبينما ينطلق المتقون ليتمتعوا بنعيم الآخرة و رضى الله سبحانه و تعالى، ترى الكافرين يجرون أذيال الخيبة والذل وليس هم إلاّ طريق واحد وهو طريق جهنم، «أم نجعل الَّذينَ آمنوا وعملوا الصالحات كالمُفسدين في الأرض أمْ نجعل المُتَّقين كالفُجّار» (ص: ٢٨)، حيث لا يمكن التساوي في نظر العدالة الإلهية بين المتقين والفجار، و بين المؤمنين والمفسدين. «إنَّ المُتقين في جنّاتٍ وعيونٍ * ادخلوها بسلامٍ آمنين * ونزعنا ما في صدورهم من غِلٍّ[39] إخواناً على سُررٍ متقابلين * لايمسُّهم فيها نصبٌ[40] وما هم منها بمخرجين * نَبِّئْ عبادي أنّي أنا الغفور الرحيم * وأنَّ عذابي هو العذاب الأليم» (الحجر: ٤٥ــ٥٠).

«إنَّ المُتَّقين في ظِلالٍ وعيونٍ[41] * وفواكه مما يشتهون * كُلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون * إنّا كذلك نجزي المُحسنين» (المرسلات: ٤١ــ٤٤). والآية الكريمة

تسجّل إذن واباحية تصرف المتقين في الجنة.. كلوا واشربوا هنيئاً لكم بما كنتم تعملون.. «ويُنجّي الله الّذينَ اتّقوا بمفازتهم[42] لايمسُّهم السوء ولا هم يحزنون» (الزمر: ٦١). ويقول تعالى: «إنّي جزيتهم اليوم بما صبروا أنّهم هم الفائزون» (المؤمنون: ١١١)، ويقول تعالى: «لكنِ الّذينَ اتّقوا ربّهم لهم غُرَفٌ[43] من فوقها غُرفٌ مبنيةٌ تجري من تحتها الأنهار وعد الله لايُخلفُ الله الميعاد» (الزمر: ٢٠).. و يؤكد القرآن الكريم على أنّ المتقين هم الفائزون.. «إنّ للمُتقين مفازاً* حدائق وأعناباً[44]* وكواعب أتراباً[45]* وكأساً دِهاقاً* لا يسمعون فيها لغواً ولا كِذّاباً* جَزآءً مِنْ ربك عطاءً حساباً* رَبّ السماوات والأرض وما بينهما الرّحمن...» (النبأ: ٣١ــ٣٧)، ويقول تعالى: «ألا إنّ أولياء الله لاخوفٌ عليهم ولا هم يحزنون* الّذين آمنوا وكانوا يتّقون* لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة، لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم» (يونس: ٦٢ــ٦٤).

ويعكس القرآن الكريم عاقبة المتقين من زاوية أُخرى.. حيث يوجّه السؤال الى المتقين هذه المرة.. «وقيل لِلّذين اتّقوا ماذا أنزل ربُّكم قالوا، خيراً، لِلّذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنةٌ ولدار الآخرة خيرٌ ولنعم دار المُتّقين* جنّات عدنٍ يدخلونها تجري من تحتها الأنهار لهم فيها مايشاؤُنَ كذلكَ يجزي الله المُتّقين* الّذين تتوفاهم الملائكة طيّبين يقولون سلامٌ عليكُمُ ادخلوا الجنّة بما كنتم تعملون» (النحل: ٣٠ــ٣٢). والآية التالية ترينا وجهاً آخر من وجوه النعيم الذي حفّ بالمتقين: «إنّ المُتقين في جنّاتٍ ونعيمٍ* مُتّكئين على سررٍ مصفوفةٍ وزوّجناهم بحورٍ عينٍ* والّذينَ آمنوا واتبعتهم ذُرّيتهم بإيمانٍ ألحقنا بهم ذُرّيتهمْ وما ألَتْناهُمْ[46] من عملهم من شيءٍ كُلُّ امرئٍ بما كسب رَهينٌ[47]* وأمددناهُمْ بفاكهةٍ ولحمٍ مما يَشتهونَ* يتنازعون فيها كأساً لا لغوٌ فيها ولا تأثيمٌ[48] ويطوفُ عليهم غلمانٌ لهم كأنّهم لُؤلؤٌ مكنونٌ* وأقبل بعضهم على بعضٍ يتساءلون* قالوا إنّا كُنّا قبل في أهلنا مُشفقين[49]* فمنّ الله علينا ووقانا عذاب السموم* إنّا كنّا من قبل ندعوه إنّه هو البرُّ الرّحيم» (الطور: ١٧ــ٢٨) ظاهر الآيات الكريمة ان الله سبحانه وتعالى يمتنّ على الذين آمنوا انه سيلحق بهم ذريتهم الذين اتبعوهم بايمان، فتقر بذلك أعينهم، و ينعم الله على هؤلاء المتقين بجنات الخلد حيث تأتيهم المتع واللذات الجسدية والمعنوية من الطعام والشراب والطمأنينة مع ملازمة صفة الإعتدال والحكمة، فالخمر في الجنة لايؤثر على عقولهم، حيث ينفي القرآن اللغو والتأثيم على شاربي خمر الجنة، فيقول: «يتنازعون فيها كأساً لا لغوٌ فيها ولا تأثيم».. ومن صفة هؤلاء المتقين انهم كانوا ذوي اشفاق في أهلهم حيث يعتنون بسعادتهم ونجاتهم من مهالك الضلال فبثوا فيهم روح الايمان والدعوة الى الله سبحانه.. وصدق الله سبحانه عندما وعد المتقين بايراث جنات الفردوس، فقال: «أولئكَ هُمُ الوارِثُونَ* الّذينَ يَرِثونَ الفِردَوْسَ هُمْ فيها خالِدُونَ» (المؤمنون: ١٠، ١١).

وتستمر الآيات القرآنية الكريمة في وصف حال المتقين في الجنة.. فتقول: «وسيق الّذينَ اتّقوا ربّهم الى الجنّة زُمراً[51] حتى إذا جاؤُها وفُتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلامٌ عليكم طِبتُمْ فادخلوها خالدين* وقالوا الحمدُلله الّذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض[52] نتبوّأُ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين* وترى الملائكة حافّين[53] من حول العرش[54] يُسبّحون بحمد ربّهم وقُضي بينهم بالحقّ وقيل الحمدلله ربّ العالمين» (الزمر: ٧٣ــ٧٥). و وعدالله المتقين بتزويجهم من الحور العين اللآتي لايرين أحداً غير أزواجهن، وهُنّ ذات غنج ودلال، وهُنّ متشابهات لايختلفن سناً أو جمالاً، وكلّما زاد أزواجهن نوراً وبهاءً زدن حسناً وجمالاً.. يقول تعالى.. «هذا ذِكرٌ وإنّ للمُتّقين لَحُسن مآب[55]* جنّات عدنٍ مُفتّحةً لهم الأبواب[56]* متكئين فيها يدعون فيها بفاكهةٍ كثيرةٍ وشرابٍ* وعندهم قاصراتُ الطّرف[57] أترابٌ[58]* هذا ما تُوعدون ليوم الحساب* إنّ هذا لرزقنا ماله من نفاد»[59] (ص: ٤٩ــ٥٤). «إنّ للمُتّقين مفازاً*حدائقَ وأعناباً* وكواعِبَ أتراباً». (النبأ: ٣١ــ٣٣).

و يصف القرآن حال المتقين في الدنيا في معرض حديثه عن حالهم في جنات النعيم في الآخرة، فيقول إنهم كانوا قليلاً من الليل ماينامون ويهجعون، ذلك انهم كانوا مشغولين بالصلاة في الليل فيسألون الله المغفرة والتوبة، هذه سيرتهم مع الله سبحانه و تعالى حيث قيام الليل والإستغفار بالأسحار.. أماسيرتهم مع الناس فانهم يعطون الفقير والمظلوم والمحروم، ولا يريدون من هذه الدنيا ولا من لباسها شيء.. «**إنَّ المُتَّقين في جنّاتٍ وعيونٍ * آخذين ما آتاهم ربُّهم، إنَّهم كانوا قبل ذلك مُحسنين * كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون[٦٠] وبالأسحار هُمْ يستغفرون[٦١] * وفي أموالهم حقٌّ للسائل[٦٢] والمحروم[٦٣] * وفي الأرض آيات للمُوقنين * وفي أنفسكم أفلا تُبصرون * وفي السَّماء رِزْقُكُمْ وماتُوعَدون**» (الذاريات: ١٥ــ٢٢).

و يضيف القرآن الكريم صفات أُخرى للمتقين، فيقول إنهم أولئك الذين يخافون الله غائباً فيخشونه بالغيب، وتخشع قلوبهم لذكره، ويحفظون ماعهد الله اليهم.. يقول تعالى: «**وأُزْلِفَتِ[٦٤] الجَنَّةُ للمتَّقين غير بعيدٍ * هذا ما تُوعدون لكلِّ أوابٍ[٦٥] حفيظٍ[٦٦] * من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلبٍ مُنيبٍ[٦٧] ادخلوها بسلامٍ، ذلك يوم الخلود * لهم ما يشاؤُنَ فيها ولدينا مزيدٌ**» (ق: ٣١ــ٣٥)، والنتيجة ان المتقين أهل الجنة يملكون كل ما تعلّقت به مشيئتهم وارادتهم.فلهم الخيار والمشيئة فيما يريدون، وهذاتكريم لايوصف من الله سبحانه و تعالى..

و يتطرق القرآن الكريم الى ثبات المتقين يوم القيامة في موقع آمن تحيط بهم الجنان الخضراء والعيون الجارية والحور العين ملائكة الجنة الجميلات، وهُنَّ غير نساء الدنيا الداخلات في الجنة، هذا المكان الآمن في طرف، والمجرمين والكافرين في طرف آخر حيث العذاب الأليم والخزي الكبير.. «**إنَّ المُتَّقين في مقامٍ أمينٍ * في جنّاتٍ وعيونٍ * يَلبسون من سُندسٍ[٦٨] واستبرقٍ[٦٩] متقابلين * كذلك وزوَّجناهم بحورٍ عينٍ[٧٠] * يدعون فيها بكلِّ فاكهةٍ آمنين * لايذوقون فيها الموتَ إلاّ الموتة الأولى ووقاهم عذاب الجحيم * فضلاً من ربِّكَ ذلك هو الفوز العظيم**» (الدخان: ٥١ــ٥٧). والآية تؤكد على أنَّ حياة الجنة حياة أبدية خالدة، حيث لاموت فيها ولافناء، والموتة الأُولى في الآية تعني موت الدنيا.. والواقع ان الإنسان إذا فاز في الحياة الأُخرى فإنَّه حقاً الفوز العظيم، وكيف لا، وان الحياة الأُخرى لانهاية لها، فإما نعيم مستمر، وإما عذاب لانهاية له.. «**إنَّ للمُتَّقين عند ربهم جنَّاتِ النَّعيم * أفنجعل المسلمين كالمجرمين * مالكم كيف تحكمون**» (القلم: ٣٤ــ٣٦)، «**أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمُفسدين في الأرض أمْ نجعل المُتَّقين كالفُجّار**» (ص: ٢٨).

* * *

في يوم القيامة ــ كما يصور القرآن الكريم ــ ترى الناس يتنازعون فيما بينهم، كل يتهم الآخر، و يلومه على دعوته الى الضلال، فالأخلاّءوالأصدقاء يومئذ بعضهم لبعض عدو باستثناء المتقين. وهذا الإستثناء حاصل حتى في الحياة الدنيا، عندما تشتد الأُمور وتضيق الحال فترى المتقين متعاضدين متآخين، يجمعهم الايمان بالله والسير نحو مرضاته... وغيرهم يلوم أحدهم الآخر. يقول تعالى: «**الأخلاّءُ[٧١] يومئذٍ بعضهم لبعضٍ عدوٌّ إلاّ المُتَّقين * ياعبادِ لاخوفٌ عليكُمُ اليوم ولا أنتُمْ تَحْزَنون * الّذينَ آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين * أدخلوا الجنَّة أنتم وأزواجُكم تُحبرون[٧٢] * يُطافُ عليهم بصحافٍ[٧٣] من ذهبٍ وأكوابٍ وفيها ماتشتهيه الأنفس وتلذُّ الأعين وأنتم فيها خالدون * وتلك الجنةُ التي أورثتموها بما كنتم تعملون * لكم فيها فاكهةٌ كثيرةٌ منها تأكلون**» (الزخرف: ٦٧ــ٧٣). وفي الخطاب القرآني الكريم تأمين للمتقين من وقوع المكاره وموارد الحزن، خاصة وان فيها أقصى مايتمتع فيه الإنسان، فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، وفي حديث الرسول(ص): «**إذا كان يوم القيامة انقطعت الأرحام وقلّت الأنساب، وذهبت الأخوّة إلّا الأخوة في الله**

وذلك قوله: «الاخلاّء يومئذٍ بعضهم لبعضٍ عدوٌّ إلاّ المتقين».

إنّ المؤمنين المتقين الذين ارتكبوا المعاصي والآثام قبل ايمانهم سيكفّر الله عنهم سيئاتهم، و يغفر لهم ذنوبهم، و يجزيهم أجرهم بايمانهم وأعمالهم و إحسانهم.. ولذلك ذكر القرآن الكريم: «**والّذي جاء بالصدق**[74] **وصدّق به**[75] **أولئك هم المتقون * لهم ما يشاؤُونَ عند ربّهم ذلك جزاء المُحسنين * ليُكفّر الله عنهم أسوأ الذي عملوا**[76] **ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون**» (الزمر: ٣٣ــ٣٥)، «**قُلْ أذلِكَ خيرٌ**[77] **أمْ جنّةُ الخلد الّتي وعد المتقون كانت لهم جزاءً ومصيراً * لهم فيها ما يشاؤُنَ خالدين كان على ربّكَ وعداً مسؤولاً**» (الفرقان: ١٥ــ١٦).

لقد دعى الله سبحانه وتعالى المؤمنين الى تقوى الله والى ذكر الله في كل الأعمال التي يقوم بها الإنسان، ودعى المؤمنين الى أنْ لاينسوا الله فينسون أنفسهم، ولينظروا الى أعمالهم التي تدور على ضوئها عجلة الحساب يوم القيامة، فإنْ كانت خالصة لله، مجزية، فليرجوا بها ثواب الله، وإنْ كانت غير ذلك، فليراجعوا أنفسهم و يتداركوها بالتوبة والندم، فإنّ النظر الى ماقدمت النفس من شيءٍ الى يوم القيامة، كمحطة الفحص في الحياة، فإنْ كانت المادة المفحوصة جيدة أخذت طريقها الى الناس، وإلاّ فالأولى إعادة تركيبها.. قال تعالى: «**يا أيُّها الّذينَ آمنوا اتّقوا الله، ولتنظر نفسٌ ما قدّمت لغدٍ**[78] **واتّقوا الله إنّ الله خبيرٌ بما تعملون * ولا تكونوا كالّذينَ نَسُوا الله فأنساهُمْ أنفسهمْ أولئكَ هُمُ الفاسقون**» (الحشر: ١٨ــ١٩). إنّ ذكرالله سبحانه في النفس البشرية أحصن وأمنع جدار يمكن أنْ يحيط به الإنسان قلبه، خاصة وان ذكرالله طمأنينة للقلب كما قال تعالى: «**... ألا بذكر الله تَطمئِنُّ القلوب**» (الرعد:٢٨)، وقال: «**واذكر ربّكَ في نفسكَ تضرُّعاً وخيفةً ودونَ الجهر من القول بالغدوّ والآصال ولا تكن من الغافلين * إنّ الّذينَ عند ربّك لا يستكبرون عن عبادته و يسبحونه وله يسجدون**» (الأعراف: ٢٠٥ــ٢٠٦)، وقال تعالى: «**فَإنِ استكبروا فالّذينَ عند ربّكَ يُسبّحونَ له بالليل والنهار وهم لا يسأمون**» (السجدة: ٣٨)، أما عاقبة الذين ينسون الله و ينسون أنفسهم فيتخيلون أنّ لهم حياة وقدرة وعلماً وكمالاً مستقلاً عن وجود الله، فإنّ مصيرهم نسيان الله لهم، وعزلتهم عن النصير ومأواهم النار و بئس المصير.. «**وقيل اليوم ننساكُمْ كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكُمُ النّار ومالكُمْ من ناصرين**» (الجاثية: ٣٤).

و يبقى الهتاف الربّاني الخالد خير مرشد للبشرية في مسيرتها الشائكة المتقدمة نحو اليوم المعلوم.. «**يا أيُّها النّاس إنّا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكُمْ شُعوباً وقبائلَ لِتَعارَفوا إنّ أكرمَكُمْ عند الله أتقاكُمْ إنّ الله عليمٌ خبيرٌ**» (الحجرات: ١٣)، فالتقوى هي الموصل الى رضوان الله، وهي المعين الذي يتسلق به الإنسان جدران المعاصي لينطلق في رحاب الله حيث الجنان والنعيم والحياة التي لا تنطفأ والشريان الذي لايموت.. ●

الهوامش:

١ ــ الكتاب: الكتب المنزّلة على الرسل.
٢ ــ الرقاب: عتق الأرقاء.
٣ ــ البأساء: الفقر والشدة.
٤ ــ الضّرّاء: المرض.
٥ ــ البأساء: الحرب الشديدة.
٦ ــ الفرقان: مايفرق به شيئين ملتبسين مثل الحق والباطل.
٧ ــ الأُسس الأخلاقية للحركة الإسلامية ــ أبو الأعلى المودودي.

٨ ــ مصباح الشريعة: الإمام جعفر الصادق(ع).

٩ ــ المراد بالعهد ما أخذ الله الميثاق عليه من عباده أن يؤمنوا به و يعبدوه.

١٠ ــ زمان الحج هو: شوال، ذوالقعدة، ذوالحجة.

١١ ــ الرفث: الجماع.

١٢ ــ الفسوق: الخروج عن الطاعة أو الكذب.

١٣ ــ الجدال: المراء في الكلام كأنْ يقول: لا والله، بلى والله.

١٤ ــ الأهلّة: جمع هلال، و يسمى القمر هلالاً أول الشهر القمري. والغرض من السؤال إنما كان متعلقاً بشأن الشهور القمرية من حيث السبب أو الفائدة.

١٥ ــ «ان بيوتنا عورة» أي فيها خلل لايأمن صاحبها دخول السارق وزحف العدو.

١٦ ــ الميزان في تفسير القرآن للعلامة الطباطبائي.

١٧ ــ الأنفال: الزيادة على الشيء وتطلق على غنائم الحرب.

١٨ ــ النجوى: المناجاة سراً بين اثنين أو أكثر.

١٩ ــ طعموا: شربوا الخمر قبل الإسلام.

٢٠ ــ الريش: مافيه الجمال مأخوذ من ريش الطائر لما فيه من أنواع الجمال والزينة، وربما يطلق على أثاث البيت ومتاعه.

٢١ ــ الفرقان والضياء والذكر: التوراة آتاها الله موسى وأخاه هارون شريكه في النبوة.

٢٢ ــ السبل: الطرق المختفة.

٢٣ ــ يقال: (فلان بعين فلان) إذا كان بحيث لايخفى عليه منه شيء.

٢٤ ــ يرهقهم بالأجل: أي يغشاهم بالمنية.

٢٥ ــ يريد بالرجعة هنا ما يسأله الإنسان المذنب من العودة الى الدنيا ليعمل صالحا كما قال الله: «ربِّ ارجعني لعلي أعمل صالحاً فيما تركت».

٢٦ ــ مالك: هو الملك الموكّل بالجحيم.

٢٧ ــ اليفن (بالتحريك): الشيخ المسن.

٢٨ ــ همزه: أي خالطه. والقتير: الشيب.

٢٩ ــ نشبت: علقت، والجوامع ـ جمع جامعة ـ الغلّ لأنها تجمع اليدين الى العنق.

٣٠ ــ غلق الرهن: استحقه صاحب الحق. وذلك إذا لم يكن فكاكه في الوقت المشروط.

٣١ ــ يبلوكم: يختبركم.

٣٢ ــ الحسيس: الصوت الخفي.

٣٣ ــ لغوباً: أعيي أشد الأعياء، والنصب: التعب أيضاً.

٣٤ ــ نهج البلاغة ــ تحقيق الدكتور صبحي الصالح ــ بيروت ١٩٦٧.

٣٥ ــ وفداً: القوم الواردون لزيارة أو استنجاز حاجة.

٣٦ ــ ورداً: كأنه مأخوذ من ورود الماء أي قصده ليشرب وكذلك جهنم.

٣٧ ــ الميزان في تفسير القرآن: العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي.

٣٨ ــ المليك: صيغة مبالغة للملك.

٣٩ ــ الغلّ: الحقد، وقيل هوما في الصدر من حقد وحسد مما يبعث الإنسان الأضرار بالغير.

٤٠ ــ النصب: التعب.

٤١ ــ أي ظلال وعيون الجنة يتمتعون بالإستظلال بها وشربها.

٤٢ ــ مفازة بمعنى الفوز والظفر بالمراد..

٤٣ ــ الغرف: جمع غرفة، وهي المنزل الرفيع.

٤٤ ــ الحدائق: جمع حديقة وهي البستان المحوط، الأعناب ثمر شجرة الكرم.

٤٥ ــ كواعب: جمع كاعب وهي الفتاة التي تكّعب ثدياها واستدار بارتفاع يسير، والترائب: جمع ترب وهي المماثلة لغيرها من اللذات.

٤٦ ــ ماألتناهم: ما انقصناهم شيئاً من عملهم بالإلحاق.

٤٧ ــ كل امرىءٍ بما كسب رهين: المراد في الآية أنَّ المرء رهن مقبوض ومحفوظ عند الله سبحانه بما كسب من خير أو شر حتى يوفيه جزاء ما عمله من ثواب أو عقاب.

٤٨ ــ التنازع في الكأس: تعاطيها والإجتماع على تناولها.

٤٩ ــ الإشفاق: الخوف.

٥٠ ــ سبق: حثَّ على السير.

٥١ ــ زمراً: جماعة بعد جماعة.

٥٢ ــ المراد بالأرض أرض الجنة التي عليها الإستقرار.

٥٣ ــ الحف: الإحداق والإحاطة بالشيء.

٥٤ ــ العرش: هو المقام الذي تصدر منه الأوامر الآلهية لتدبير أمور العالم.

٥٥ ــ المآب: المرجع.

٥٦ ــ أي أنهم غير ممنوعين عن شيء من النعم الموجودة فيها.

٥٧ ــ قاصرات الطرف: قصور طرفهم على أزواجهن يرضين بهم ولايرون غيرهم، أو هو كناية عن كونهن ذوات غنج ودلال.

٥٨ ــ الأتراب: الأقران أي لا يختلفن في السن والجمال.

٥٩ ــ النفاد: الفناء والإنقطاع.

٦٠ ــ يهجعون: ينامون.

٦١ ــ المراد بالإستغفار الصلاة، والأسحار آخر الليل.

٦٢ ــ السائل: الذي يسأل العطية بإظهار الفاقة.

٦٣ ــ المحروم: هو الذي حرم الرزق فلم ينجح سعيه في طلبه ولايسأل تعففاً.

٦٤ ــ أزلفت الجنة: قربت الجنة للمتقين حال كونها في مكان غير بعيد، أي هي بين أيديهم لا تكلف لهم في دخولها.

٦٥ ــ أواب: من الأوب بمعنى: الرجوع.

٦٦ ــ حفيظ: الذي يدوم على حفظ ما عهد الله اليه من أن يترك فيضيع.

٦٧ ــ الإنابة: الرجوع.

٦٨ ــ السندس: الرقيق من الحرير.

٦٩ ــ الإستبرق: الغليظ أو السميك من الحرير.

٧٠ ــ الحور، جمع حوراء بمعنى شديدة سواد العين وبياضها أو ذات المقلة السوداء كالظباء، والعين: جمع عيناء بمعنى عظيمة العينين.

٧١ ــ الأخلاّء: جمع خليل وهوالصديق.

٧٢ ــ الحبور: السرور الذي يظهر أثره.

٧٣ ــ الصحاف: جمع صحفة، وهي القصعة أو الآناء.

٧٤ ــ المراد بالمجيء بالصدق، الإتيان بالدين الحق.

٧٥ ــ المراد بالتصديق به، الايمان به.

٧٦ ــ المراد بأسوء الذي عملوا قبل الإيمان كالشرك والكبائر.

٧٧ ــ الإشارة الى السعير بما له من الوصف، وقد أمر الله نبيه(ص) أن يسألهم أيهما أرجح السعير أم جنة الخلد؟

٧٨ ــ المراد بغد: يوم القيامة.

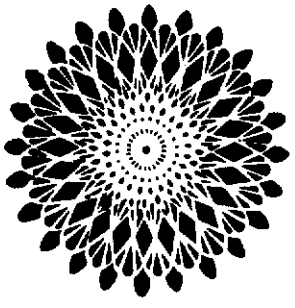

إنَّ البشرية ــ اليوم ــ قد يئست من المذاهب المادية والملحدة للشرق والغرب، لأنها أوصلتها الى طريق مسدود، ولهذا فإنَّ الأرضية مهيَّأة لقبول الإسلام الأصيل. ولذلك يجب على العلماء الواعين أنْ يحتضنوا الشباب المتعطش، ويهدوه الى منبع الإسلام الصافي، و يزيحوا عن أنفسهم المسكنة والإستسلام أمام الطواغيت.

آية الله العظمى المنتظري